

مجلة البحوث التاريخية

يناير 2008

العدد الأول

العدد الثلاثون



مركز بحوث البحوث التاريخية للدراسات التاريخية

مجلة البحوث التاريخية

مجلة علمية محكمة تهتم بالدراسات التاريخية الموثقة تصدر مرتين كل عام عن مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية

أمين عام مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية
كلية الآداب - جامعة قاريونس، بنغازي
مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية
كلية الآداب - جامعة قاريونس - بنغازي
كلية الآداب - جامعة الفاتح - طرابلس
كلية الآداب - جامعة قاريونس - بنغازي
كلية الآداب - جامعة الفاتح - طرابلس
كلية الآداب - جامعة الفاتح - طرابلس
كلية الآداب - جامعة الفاتح - طرابلس
مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية
كلية الآداب - جامعة قاريونس - بنغازي
كلية الآداب - جامعة الفاتح - طرابلس
مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية
مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية

د. محمد الطاهر الجراي:
د. عبدالله علي إبراهيم:
د. صلاح الدين حسن السوري:
د. ادريس صالح الحرير:
د. حبيب وداعة الحسناوي:
د. عطية مخزوم الفيتوري:
د. محمد علي عيسى:
د. عماد الدين غانم:
د. قمر الدين فضل الله:
د. أحمد عطية مدلل:
د. سعيد عبد الرحمن الحنديري:
د. أبو شعبة مفتاح الطرشاني:
أ. المبروك علي الساعدي:
أ. علي بشير الزواوي:

رئيس التحرير
مدير التحرير
هيئة التحرير

❖ لا تعبر الآراء المنشورة في هذه المجلة إلا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهة نظر هيئة التحرير.
يرجى إرسال نسختين من كل بحث أو مقال إلى أحد العنوانين التاليين:

مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية

ص. ب. (17991) - بنغازي

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية

ص. ب. (5070) - طرابلس أو

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الإشتراكات والتوزيع: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - طرابلس ص.ب. 959
قيمة العدد الواحد: أربعة دنانير (4 د.ل.)
ويضاف أجور البريد العادي أو الجوي إلى قيمة النسخ المرسله إلى خارج الجمهورية العظمى

مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية

المقالات المنشورة في هذه المجلة ملخصة ومفهرسة في مجلة

Historical Abstracts ومجلة America: History and life

مجلة البحوث التاريخية
العدد الأول 2008

مجلة البحوث التاريخية
مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية

يناير 2008

العدد الاول

الصفحة الثلاثون

محتويات العدد

- 7 هيئة التحرير
شروط نشر البحوث والمقالات في مجلة البحوث التاريخية
- 11 أ.د. محمد الطاهر الجراري
الافتتاحية: ملاحظات حول الخريطة الثقافية الليبية المستقبلية
- 17 أ.د. حبيب وداعة الحسناوي
ليبيا في فضائي البحر المتوسط وأفريقيا وعلاقتها مع فرنسا خلال القرنين
السادس عشر والسابع عشر: إشكاليات وأبعاد
- 57 د. عماد الدين غانم
طرابلس مطلع القرن العشرين قراءة في رحلة البارون النمساوي فون أيزنشتاين
- 77 د. الصالحين جبريل الخفيفي
جامعة الدول العربية وتأثيرها على الاتجاهات السياسية في ليبيا بعد الحرب
العالمية الثانية

- 95..... أ. صبا قيس الياسري
دور وأهمية ليبيا كحلقة وصل بين الشرق والغرب في التاريخ
- 117 د. جاسم محمد شطب العبيدي
التجارة الصحراوية والمسألة الشرقية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين
- 157..... د. محمد امحمد سالم
قيسات من تاريخ التطيب في المناطق الشرقية من ليبيا القديمة
- 173..... أ. محمد المختار العرباوي
الفصحى: اللغة القديمة - الحديثة

عرض كتاب

- 197..... د. خليفة محمد الأحول
يهود مدينة طرابلس تحت الاحتلال الإيطالي 1911 - 1943
- عرض أ. خليفة محمد الدويبي
- 209..... أ. هانس شلوتر
البيلوغرافيا المغاربية (القسم الأجنبي)

دور وأهمية ليبيا كحلقة وصل بين الشرق والغرب في التاريخ

أ. صبا فيس الياسري

احتلت ليبيا مكانة مرموقة في العهود القديمة التي سبقت الفتح الإسلامي. وشكلت إحدى المناطق المهمة في التاريخ، وقد تجلت مكانتها بعد الغزو الفينيقي⁽¹⁾ لسواحلها حيث بدأت هذه الأهمية بالظهور.

وما يدل على اهتمام الفينيقيين بالسواحل الليبية أنهم أسسوا مدينة قرطاجنة⁽²⁾، كمركز لحكمهم في إفريقيا كما أسسوا مراكز للتبادل التجاري على الساحل الليبي، عرفت فيما بعد

(1) الفينيقيون: من الشعوب السامية، التي هاجرت من الجزيرة العربية، حوالي سنة 3500 ق.م، واستقرت على شواطئ لبنان وسوريا، وكانت شعوب ذات خبرة عالية بالتجارة، خاصة البحرية.

(2) قرطاجنة: تأسست من قبل الفينيقيين سنة 814 ق.م بالقرب من مدينة تونس حالياً.

دور وأهمية ليبيا كحلقة وصل بين الشرق والغرب في العصور القديمة

د. صبا قيس الياسري

احتلت ليبيا مكانة مرموقة في العهود القديمة التي سبقت الفتح الإسلامي. وشكلت إحدى المناطق المهمة في التاريخ، وقد تجلت مكانتها بعد الغزو الفينيقي لسواحلها حيث بدأت هذه الأهمية بالظهور.

وما يدل على اهتمام الفينيقيين بالسواحل الليبية أنهم أسسوا مدينة قرطاجنة^١، كمرکز لحكمهم في أفريقيا كما أسسوا مراكزاً للتبادل التجاري على الساحل الليبي، عرفت فيما بعد بالمدن الثلاث، لبدة وأويا و صبراته^٢. وفي القرن الثالث الميلادي تدهورت الأحوال الاقتصادية والسياسية لمدينتي لبدة و صبراته، في حين استمرت مدينة أويا في التطور الاقتصادي والسياسي، وتغير اسمها من أويا إلى تريبولس بمعنى المدن الثلاث، واقتصرت هذه التسمية على المدينة ولم تشمل المناطق المجاورة لها.

أما اليونانيون فقد أطلقوا اسم ليبيا على المناطق الواقعة غرب مصر، ويعتقد المستشرق الإيطالي ايتوري روسي أن الاسم مشتق من كلمة ليبي التي كانت تعني الشعوب التي تسكن الحدود المشتركة بين ليبيا ومصر، ويعتقد ايتوري أن تكون هذه التسمية مشتقة من أحد هذه الأسماء لواته، لبتاته، لبيو، أما في العهد الروماني، فإن كلمة ليبيا كانت تعني جزءاً كبيراً من أفريقيا الشمالية ولكن دون تحديد جغرافي، ولم يُستخدم هذا الاسم بتحديد جغرافي إلا سنة ١٩١١ عندما أُطلق على طرابلس وبرقة^٣.

أما بالنسبة للمؤرخين العرب أمثال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري وياقوت الحموي و أبو محمد عبد الله التيجاني و عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وغيرهم فكانوا يطلقون على ليبيا أفريقيا أو شمال أفريقيا أو إطرابلس، ويشير ابن خلدون إلى تسميات أفريقيا أو المدن الأفريقية التي دخلها المسلمون

١ - قرطاجنة : تأسست من قبل الفينيقيين سنة ٨١٤ ق . م بالقرب من مدينة تونس حالياً .
٢ - محمد ناجي، محمد نوري: طرابلس الغرب، ترجمة: أكمل الدين محمد إحسان، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ١٩٧٣، ص ١٣٣.
٣ - ايتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٩١، ص ٢٥

وكانت فيها حروب وغزوات مثل إطرابلس وودان وصبرا (صبراته) ولبدة وفزان وبرقة.. إلخ^٤.

ويمتد إقليم طرابلس من حدود برقة إلى حدود تونس الحالية وكان العرب يعتبرون جبل نفوسة ضمن إقليم طرابلس وكان إقليماً غنياً واسعاً عامراً بالزرع والخيرات. ويتبع طرابلس أيضاً إقليم فزان^٥.

وقال أبو عبيد البكري الأندلسي : إن حدود أفريقيا من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً ،ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الرمال التي في أول بلاد السودان، وتمتاز بتضاريس متنوعة ،ما بين جبال و رمال عظيمة متصلة من الشرق والغرب.^٦ أما بالنسبة إلى اسم ليبيا فأطلقه الجغرافيون القدماء على المساحة التي تقع شمال أفريقيا من بنغازي وسرت وفزان وغرباً حتى تونس، وفي ذلك الزمن كان لكلمة ليبيا معنيان، الأول عام ويعني أفريقيا كلها، والثاني خاص ويعني طرابلس الغرب، أما في عهد الإمبراطور هادريان كانت طرابلس الغرب تسمى "بحري ليبيا" وفي عهد الإمبراطور قسطنطين كان اسم ليبيا يطلق على الجانب الشرقي لطرابلس فقط ،ويسمى الجانب الشرقي للصحراء الكبرى، وهي صحراء طرابلس.^٧

وكان لهذه البقعة الجغرافية أهمية فاصلة لفتت انتباه الطامعين، وكان في طليعتهم، كما أشرنا آنفاً، الفينيقيون الذين قدموا من سواحل لبنان ليجعلوا من السواحل الليبية والتونسية منطلقاً لهم إلى السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط وجزره.

وبما أن الفينيقيين كانوا ذوي خبرة ومتمرسين في التجارة فقد جعلوا من نقاط التبادل التجاري، التي أسسوها والتي تطورت فيما بعد وأصبحت مدناً تجارية مثل

^٤ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي : في كتابه المشهور (العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) والذي سنشير له في هذا البحث بكتاب العبر والذي ترد كلمة طرابلس في هذا الكتاب ابتداء من الصفحة السادسة وتكرر في عشرات الصفحات الأخرى وتعني ليبيا .

^٥ - حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الأول، ج ١، العصر الحديث، مصر، ١٩٩٢، ص ٣٦ .

^٦ - الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٢٨ .

^٧ - محمد ناجي، محمد نوري، مصدر سابق ص ١٣٣ .

لبدة و صبراته وطرابلس ، وكانت طرابلس أيام الفينيقيين تعتمد على التجارة، وخاصة تجارة القوافل عبر الصحراء.

و بالنظر لما عرف عن الفينيقيين من حذق في التجارة، ميزهم عن بقية شعوب حوض البحر المتوسط فقد استخدموا طرقا معينة لنقل تجارتهم التي يجلبونها من سواحل لبنان، ومن داخل أفريقيا، مثل الأحجار الثمينة والعاج والذهب وريش النعام، والجلود، و خشب الأبنوس، والرقيق.. ويستخرجون من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط الأصباغ والإسفنج والأسماك المملحة والعنب و الزيتون والخمور المحلية.

وكانوا ينقلون هذه السلع والبضائع من السواحل الليبية و قرطاجنة إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وأسبانيا . بالإضافة إلى ذلك فإن طرابلس والمدن التابعة لها كانت في أيام الفينيقيين تعتمد على التجارة وخاصة تجارة القوافل عبر الصحراء.^٨، و نشأت علاقة تجارة بين السكان الأصليين والفينيقيين وهذا ما رواه المؤرخ (هيرودوت)^٩ فذكر أنه ينقل عن القرطاجينين بأن هناك في مكان ما في ليبيا، يعيش قوم خلف أعمدة هرقل نسبة إلى الحضارة الرومانية التي كانت قائمة في ليبيا، كونها مستعمرة رومانية ، وإلى هذا المكان الموصوف يأتون ويفرغون بضائعهم ثم يستبدلونها بالذهب، ومن ذلك نستنتج العلاقة التجارية التي كانت قائمة بين الفينيقيين وأهل ليبيا.^{١٠}

وتمتاز طرابلس بموقعها البحري الاستراتيجي، الذي جعلها في فترات لاحقة تنمو بشكل أكثر سرعة من بقية المراكز التجارية لتكون حلقة وصل بين بلدان المشرق وبلدان جنوب أوروبا والمغرب العربي، وكانت قوافل التجار تجلب عبر الصحراء أنواع السلع التي كانت معروفة في ذلك الوقت إلى طرابلس من مناطق أفريقيا جنوب الصحراء، وكذلك من المشرق العربي، فقد كانت طرابلس دوما مدينة ذات تجارة واسعة، ولا منافس لها سوى الإسكندرية، واعتادت سفن مالطة والبندقية

^٨ - محمود الصديق أبو حامد: مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس، وقائع المؤتمر التاريخي، ليبيا في التاريخ مارس ١٩٦٨، ص ١٣١

^٩ - هيرودوت: أشهر المؤرخين اليونان، ويلقب بأبي التاريخ، عاش في القرن الخامس ق. م ، في الفترة بين ٤٨٤/٤٢٥ ق. م ومن المدن التي زارها قورينا في ليبيا .

^{١٠} - مصطفى عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، عن كتاب ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي ١٩٦٨، ص ٦٧

وصقلية أن ترسو في موانئها لتتاجر معها باستمرار. ^{١١} فمن المعروف أن ليبيا كانت ولا تزال الإقليم الذي يربط بين شرق العالم الإسلامي وغربه. ^{١٢} كل هذه الشواهد تدل على مكانة ليبيا التاريخية بصفة عامة وطرابلس بصفة خاصة منذ عهد الفينيقيين الذين استمرت سيطرتهم على أجزاء واسعة من شمال أفريقيا حتى نهاية الحرب البونيقية ^{١٣} الثالثة ١٤٦ ق.م حين استطاع الرومان تدمير قرطاجنة وإقامة المقاطعة الرومانية في أفريقيا وعاصمتها عوتيكا. ^{١٤} أما بالنسبة لمنطقة طرابلس وما حولها فيمكن القول أنها منذ القرن الثالث قبل الميلاد انتهى الحكم القرطاجني، وبعد فترة من ذلك قام بعض الملوك المحليين باستقلال شبه كامل وحكم ذاتي، وفي النهاية بسطت روما سيادتها وإزاحتهم عن مراكز السلطة. ^{١٥}

وقد اهتم الرومان بطرابلس اهتماما كبيرا، وجعلوها واحدة من مقاطعاتهم المهمة، جاعلين عاصمة إقليم طرابلس مدينة قابس الحالية، واستمرت هذه التقسيمات الإدارية إلى سنة ٤٠٠ للميلاد ولم يلحقها أي تغير. ^{١٦} وكانت طرابلس ترتبط بالدواخل في العهد الروماني من خلال ثلاث طرق: الأول يمتد من قابس "تاقابي" إلى غدامس "سيداموس"، والثاني من طرابلس "أويات" إلى فزان "غار منتي"، والثالث من لبدّة إلى الطرق التي تؤدي إلى تيبستي وكان هذا الطريق أكثرها أمناً. ^{١٧} وقد عُرف الرومان واليونان باستيطانهم في المدن المهمة على عكس الفينيقيين، وبرز أحد مواليد لبدّة وهو "سبتيميوس سفيروس" ليصبح إمبراطوراً

١١ - نقولا زيادة: ليبيا من حسن الوزان إلى التمقروتي، وقائع المؤتمر التاريخي لليبيا في التاريخ مارس ١٩٦٨، ص ٢١٠
١٢ - علي مسعود البلوشي: تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي، مجلة كلية التربية، ع ١٦، ١٩٨١-١٩٨٢، ص ١٣
١٣ - الحرب البونيقية (Punic War): حرب نشبت بين الشمال الإفريقي المتجسد بقرطاجنة في تونس حالياً و الرومان دامت ما يقارب ١١٨ سنة، ومرت بثلاثة مراحل الأولى: ٢٦٤ - ٢٣١ ق.م والثانية: ٢١٨ - ٢٠٢ ق.م والثالثة: ١٥٠ - ١٤٦ ق.م، والتي انتهت بتدمير قرطاجنة من قبل الرومان وبمساعدة قبائل ليبية والمملكة النوميديّة وعاصمتها قسنطينة بالجزائر حالياً.
١٤ - عوتيكا: (Utica) مركز تجاري في ساحل البحر الأبيض المتوسط حوله الفينيقيون إلى مستعمرة مستديمة ويرجع ذلك إلى الألف الأول ق.م، إلا أن الحفريات تثبت عدم وجود أي مستعمرة فينيقية قبل قيام قرطاجنة بالقرب من مدينة تونس قبل عام ٨٠٠ ق.م.

١٥ - ايتوري روسي: مصدر سابق، ص ٣٢

١٦ - المصدر السابق، ص ٣٩

١٧ - محمد ناجي، محمد نوري: مصدر سابق، ص ١٣٤

لروما، وقد ظل وفاقاً لنشأته الأفريقية، ولم ينس مسقط رأسه الذي وجه إليه عنايته فأقام الحصون بطرابلس الغرب.^{١٨}

وكان الرومان قد أولوا عنايتهم واهتمامهم بتنظيم طرق التجارة، وضمان الأمن على الطريق الساحلي الممتد من قابس إلى لبدية، وأنشئت لهذا الغرض عدة حصون وأماكن مراقبة على مسافات متقاربة. وقد امتدت هذه الحصون فيما بعد إلى منطقة سرت وعرفت بخط الليميتاني.

كانت ولاية طرابلس الغرب معمورة في عهد الرومان، وكانت ضريبتها ترسل إلى روما على هيئة عشرة آلاف كنتال* من الزيت في العام الواحد^{١٩}، الأمر الذي يوضح رخاء المدينة وإمكاناتها الاقتصادية، وقد حصلت طرابلس والمدن الليبية الأخرى على الاستقلال الإداري، في بعض الفترات، من العهد الروماني، ولكن بسبب تدهور الأوضاع الأمنية بشكل خاص، وسوء الإدارة والاضطرابات المحلية، سقطت طرابلس وسواحل أفريقيا الشمالية عام ٤٣٩ للميلاد في أيدي الوندال الذين استمر حكمهم حتى عام ٥٣٥ للميلاد، وقد سيطر الوندال*، على طرابلس وبرقة، وكانوا يحملون معهم الدمار والخراب لهذه المدن.^{٢٠}

وإذا كان الفينيقيون أسسوا المراكز التجارية التي تطورت فيما بعد لتصبح مدناً عامرة في العهد الروماني، وشيدوا النصب والتماثيل التي ما زالت شاخصة حتى اليوم في المدن الليبية، فإن عهد الوندال امتاز بالظلم والقسوة، ولم يتركوا شيئاً خالداً في الفن والعمارة يذكرُّ بهم.

وفي عام ٥٣٥ للميلاد حرر الإمبراطور جوستنيان شمال أفريقيا من الوندال في حملة قادها "بلزاريوس" ليعيد إليها السيطرة البيزنطية التي دامت أكثر من قرن من الزمن، وقد استمر الحكم البيزنطي إلى الفتح العربي سنة ٢٢ للهجرة /

١٨ - ايتوري روسي: مصدر سابق، ص ٣٨

* - الكنتال : القنطار و تعادل مائة رطل

١٩ - محمد ناجي، محمد نوري: مصدر سابق، ص ١٣٥

* - وندال أو الوندال : وهم عنصر جرمانى، أي من الشعوب الجرمانية، نزحوا من بلادهم بالقرب من بحر أزوف، وعبروا ألمانيا وفرنسا حتى استقروا في أسبانيا، دخلوا أفريقيا عام ٤٢٩ م و سيطروا على قرطاجنة عام ٤٣٩ م أما سيطرتهم على ليبيا فكانت عام ٤٥٥ م.

٢٠ - هنري حبيب: ليبيا بين الماضي والحاضر، ترجمة: شاكرا إبراهيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٨١، ص ٥٧

٦٤٣ للميلاد^{٢١} لبدأ عهد جديد تنبؤاً فيه طرابلس مكانة وأهمية أكبر في خريطة العالم العربي والإسلامي.

وروما لم تؤثر في التكوين السلافي البشري لهذه البلاد، ولم تؤثر ذلك التأثير الكبير في العادات والتقاليد، كما في البلدان الأخرى التي كانت واقعة تحت السيطرة الرومانية، خاصة تلك التي تدعى بالبلاد اللاتينية الجديدة، ولكن من المؤكد إنها قد خلفت معالم معمارية كثيرة عسكرية، ونصب تذكارية، وكذلك أعمال فنية، كما ولها تأثير قائم لحد الآن في بعض المسميات المكانية^{٢٢} من بين عشرات المواقع بطرابلس الغرب، كما أن الكثير منها يوحى بأنها إنشاءات قديمة ورومانية بشكل خاص.^{٢٣}

ولكن مع مظاهر الثقافة الدخيلة هذه فإن الشعب الليبي، في ذلك الوقت، لم ينسجم مع أي من هذه الثقافات، ولم يتفاعل معها، ولم ينتج حضارته الخاصة به من جانبيها الفكري والمادي إلا بعد الفتح العربي الإسلامي.

طرابلس مدينة عربية إسلامية

إن دخول الإسلام إلى ليبيا أثر عليها وعلى أهميتها تأثيراً إيجابياً كبيراً، وجعلها تنهض بدور ملحوظ في الحياة الإسلامية سواء العسكرية منها أو الثقافية. إن تاريخ ٢٢ للهجرة - ٦٤٢ للميلاد أصبح تاريخاً مشهوداً في حياة طرابلس بشكل خاص إذ صارت هذه المدينة أحد المراكز المهمة في شمال أفريقيا.

إن انتشار و تجذر الإسلام في هذه البلاد بلور شخصية ليبيا بشكل عام، وخاصة طرابلس باعتبارها كانت مركز هذا التجمع البشري، حتى وإن ارتبطت سياسياً، مرة بالقيروان أو قابس وأخرى بمصر، لقد صارت طرابلس حاضرة من الحواضر الإسلامية، واستمر ذلك طيلة ما يقرب من ١٤٠٠ عام هي عمر الإسلام في هذه البلاد. و البلاذري يوضح أنه قال: له بكر بن الهيثم نقلاً عن عبد الله بن صالح المنقول أصلاً عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، قال

^{٢١} - تختلف المصادر بعض الشيء في ذكر تاريخ فتح ليبيا بين ٢١ و ٢٢ و ٢٣ للهجرة

^{٢٢} - والتي تعرف محلياً بالاصطلاحات (قصر ، برج ، هنشير)

^{٢٣} - ايتوري روسي: مصدر سابق، ص ٤٣

سار عمرو بن العاصي حتى نزل إطرابلس في سنة ٢٢ للهجرة و افتتحها عنوة بعد قتال طويل.^{٢٤}

و يقول ابن خلدون: لقد استطاعت الجيوش الإسلامية خلال عامي ٢٣ - ٢٤ هـ أن تفتح طرابلس، وتم ذلك خلال حملة امتدت من العام الأخير من خلافة عمر بن الخطاب والعام الأول من خلافة عثمان بن عفان. وقد استطاعت الحملة التي قادها الصحابي عمرو بن العاص أن تحاصر طرابلس لمدة شهر وتم فتحها بعد أن تسلل ثمانية جنود من المسلمين، كانوا في جولة صيد ثم اكتشفوا أن المدينة مكشوفة السور من جهة البحر فدخلوها واخذوا يكبرون مما ادخل الروح في قلوب الرومان. ويذكر ابن خلدون أيضا أنه لم يكن للروم من ملجأ إلا سفنهم، وقد ارتفع الصياح، فأقبل عمرو بعساكره فدخل طرابلس ولم ينج من الروم إلا من لحق بالمراكب.^{٢٥}

ولم يفقد الجيش الإسلامي في فتح طرابلس سوى ثلاثة أنفار.^{٢٦} وقد تميز فتح طرابلس، شأنه شأن معظم المدن الليبية الأخرى، التي افتتحت قبل طرابلس وأثناء حصارها، أو بعد ذلك، ومنها درنة وطبرق وبرقة وبنغازي و اجدابيا وسيرت و ودان و صبراتا.. إلخ بالسهولة وانسحاب الروم من خطوطهم الدفاعية وعدم تحمس السكان الأصليين في الدفاع عن الحكم الروماني. وترجع سهولة فتح هذه المدن، رغم التحصينات المنيعة التي كانت تتحصن فيها، إلى أن السكان قد سأموا حكم البيزنطيين وسطوتهم، ولم يكن لهم دور في إدارة هذه المدن، والملاحظ أن هذه الفتوحات كانت أشبه بالغزوات الخاطفة، وليس بالفتوحات التي عرفتها شمال أفريقيا فيما بعد، والتي سعت إلى تأسيس حكم إسلامي، فسرعان ما عاد عمرو بن العاص وجيشه إلى مصر مكتفيا بأخذ الغنائم أو فرض الجزية على أهلها، وتهديم أسوار تلك المدن المفتوحة حتى لا تتمرد على المسلمين.

^{٢٤} - الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان، ١٩٨٧، ص ٣١٦
^{٢٥} - ابن خلدون: العبر، المجلد الثاني، القسم الرابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٠٠٢
^{٢٦} - أحمد النائب الأنصاري، نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان، ط١، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٣، ص ٢٤

ويشير البلاذري في فتوح البلدان أن عمرو بن العاص بعد أن افتتح مدينة طرابلس عنوة، وأصاب بها أحماً كثيراً مع تجارها فقسم ثمنها بين المسلمين ٢٧.

كان سكان طرابلس وسكان ليبيا بشكل عام من الليبيين والبونيقين^{٢٨}، الذي هم القرطاجيين، و الإغريق ولم يبق من هؤلاء البونيقين، أثناء الفتح الإسلامي، سوى عدد قليل، وكان اليهود أقلية ضئيلة، وكانوا منتشرين في المدن الساحلية وبعض مدن الدواخل.^{٢٩} ويصفهم ابن خلدون بأنهم كانوا في دور البداوة عند الفتح العربي.^{٣٠}

وكانت هزيمتهم على يد العرب الذين قتلوا جرجر ملك الإفرنج يومئذ بأفريقيا، ومن كان بأمصارها من الإفرنج والروم ومن بضواحيها من مجموع البربر، وذلك عام ٢٩ هـ، وبعد هذه الهزيمة تصالحوا معهم على ثلاثمائة قنطار من الذهب على أن يرحل عنهم العرب ويخرجوا من بلدهم فقبل ورجع المسلمون إلى المشرق^{٣١}. وأخذ دور طرابلس يتصاعد حتى أصبحت إحدى حلقات الوصل بين المشرق العربي وشمال أفريقيا، خاصة قبل تأسيس مدينة القيروان، التي أسسها عقبة بن نافع لتكون قاعدة لحكمهم لما تم فتحه في أفريقيا، وامتد الفتح بعد ذلك حتى شمل الأندلس.^{٣٢}

ومنذ هذا التاريخ مرت على طرابلس عهود و أنظمة مختلفة، ابتداءً بدولة الخلفاء الراشدين، فالدولة الأموية فالعباسية فدولة الأغالبة فالفاطميين فبني زيري فالموحدين فالحفصيين، ثم عهود أخرى قصيرة العمر، وصولاً إلى العثمانيين فالأسرة القرمانلية. وقد شهدت القرون الممتدة حتى حكم الأسرة القرمانلية كثيراً من الإنجازات إلى جانب كونها شهدت كثيراً من الثورات و أعمال العنف، وكانت أسباب الصراع فيها إما قومية ووطنية، كالصراع بين سكان البلاد الأصليين

٢٧ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٣٠
٢٨ - بونيفي : هي تحريف لكلمة فينيقي، أطلقها الرومان بوجه خاص على الفينيقين في قرطاجنة، وقد يرد مصطلح فينيقي حديث (نيو بونيفي) في المصادر التاريخية الرومانية للدلالة على اللغة الفينيقية القرطاجية، وهذه اللغة ظلت مستعملة في جميع مدن طرابلس في العهد الروماني.

٢٩ - اتوري روسي: مصدر سابق، ص ٦١

٣٠ - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت - لبنان، ١، ط ١٩٧٨، ص- ص ٢٩٤ - ٢٩٦

٣١ - الأنصاري: مصدر سابق، ص ٢٩

٣٢ - علي الميلودي عمورة: طرابلس المدينة العربية وتاريخها الإسلامي، دار الفرجاني، طرابلس، ١٩٩٣، ص ٨٣

والعرب الفاتحين، أو لدواع مذهبية ، أو بسبب الاحتراب من أجل السلطة، أو بسبب الأطماع الاستعمارية. ومع أن شمال أفريقيا عرف العرب حتى قبل الفتح الإسلامي إذ يشير ابن خلدون إلى أن ملوك اليمن غزوا شمال أفريقيا قبل الإسلام ودانوا بدينهم.^{٣٣} إلا أن الاندماج الحقيقي هو الذي حدث بعد الإسلام فتوحدوا مع العرب مع ظهور بعض المنازعات، والنظرة المريبة إلى الوافد الجديد ، وكانت مقاومة هذه البلاد قوية وقد استمرت نحو ستين سنة منذ فتحت برقة في ٢١ هـ حتى القضاء على الروم ومن ساعدهم من البربر عام ٨٣ هـ .^{٣٤}

وكان بعض هذه المقاومة يرجع إلى السياسة الصارمة التي عرف بها القائد العربي عقبة بن نافع، ولكن مع مرور الزمن أصبح الشعب الليبي بكافة مكوناته إحدى دعائم الإسلام بعد أن اندمج بالعرب، وينسب للخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز أنه كان من أكثر المتحمسين لنشر الإسلام بين البربر، وأنه رتب لهذا الغرض عشرة فقهاء من أعيان التابعين لإرشاد البربر وتعليمهم اللغة العربية والدين الإسلامي. وقد جاء هؤلاء الفقهاء أفريقيا سنة ١٠٠ هـ وانتشروا في جهات الولاية. و نتيجة لمساعدتهم وجهودهم وتوفيق من الله ، أسرع الناس في قبول الإسلام.^{٣٥}

وقد انتشر العرب واستقروا في كل بلدة وقرية وكفر وتجمع من برقة وطرابلس وقران، واختلطوا بالناس و عربوهم وصاروا منهم.^{٣٦}

لذلك يعد الفتح العربي من أشد الفتوحات تأثيراً وأكثرها عمقا في البلاد، فعندما ندقق في ما تركه الإغريق والرومان وراءهم في ليبيا لن نرى سوى آثار عظيمة، لكن العرب استوطنوا جميع أنحاء البلاد، واندمجوا مع السكان المحليين، إلى أن أصبحت ليبيا في القرن السابع الميلادي إقليمياً عربياً إسلامياً.^{٣٧}

إن أحداً قبل العرب لم يدخل في دواخل المغرب ويقتحم مواطن البربر جميعاً قبلهم، وقد أشرنا إلى أن الفينيقيين و الإغريق والرومان والبيزنطيين لم يعرفوا

^{٣٣} - ابن خلدون: العبر، المجلد ٦، ص ١٠٦

^{٣٤} - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، الجزء الرابع، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٨، ص ١٧٨

^{٣٥} - أحمد شلبي: موسوعة تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، الجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٨، ص ١٢٠

^{٣٦} - عبد اللطيف محمود البرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي، دار صادر، بيروت، ص ٣٤٠

^{٣٧} - هنري حبيب: مصدر سابق، ص ٥٥

إلا السواحل الشمالية لأفريقيا فقد ظلت أحوال البربر على ما هي عليه في المغرب كله حتى جاء العرب.^{٣٨}

وقد اتسع تأثير العرب في ليبيا بشكل واسع بعد الهجرة الواسعة التي حدثت في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي والمعروفة بهجرة قبائل بني هلال وبني سليم، ويورد ابن خلدون بياناً مفصلاً بالمنزل التي استقر فيها الهالليون في أفريقيا والمغرب الأوسط ونواحي الصحراء، وهو بيان طويل نستخلص منه أن أولئك العرب نزلوا في كل ناحية من نواحي هذه البلاد، ولم يغادروا ركناً إلا سادته منهم جماعة واختلطت بالناس وصاهرتهم.^{٣٩}

إن هذا التحول الكبير الروحي و الديموغرافي، الذي طرأ على الشعب الليبي، جعله يسهم بصورة أكبر في هذا المحيط الإسلامي الواسع. والمتتبع لتاريخه يلاحظ أنه وجد في هذه الثقافة العربية الإسلامية مكانه الطبيعي... إلخ، إن ما طرأ على الحياة السياسية والاجتماعية، من اضطرابات وهزات عنيفة، طرأ أيضاً على الشعب الليبي فمرة تكون ليبيا، أو أجزاء منها، تحت حكم الدولة الأموية، ومرة العباسية، وأخرى دولة الأغالبة، أو تحت حكم الفاطميين، أو العثمانيين... إلخ ، وإذا استثنينا الثورات والانتفاضات في طرابلس ، والتي قام بها البربر والخوارج الأباضية في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد ، والخليفين العباسيين أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد ، لاستطعنا القول إن طرابلس كانت خاضعة للحكم الأموي والعباسي شأنها شأن أي مدينة عربية أخرى ، ولكن التحول الكبير الذي حدث هو استقلال بعض أقاليم الشمال الأفريقي عن مركز الخلافة الإسلامية سواء في بغداد أو القاهرة. ففي أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بلغت قوة الدولة العباسية أوج عظمتها واتساعها، ولكنها مع ذلك شهدت قيام عدد من الإمارات و الحكومات المستقلة عن الدولة العباسية منها دولة الأدارسة في المغرب، وفي القيروان أسس إبراهيم بن الأغلب، الذي عينه هارون الرشيد سنة

^{٣٨} - حسين مؤنس: مصدر سابق، ص ٣

^{٣٩} ابن خلدون: مصدر سابق، الجزء السادس ص ٢٢

٨٠٠ م حاكما على أفريقيا ومنها طرابلس، حكومة مستقلة في القيروان وقد عرفت باسم الإمارة الأغلبية.^{٤٠}

واهتم الأغلبة بطرابلس وعينوا لها ولاية معظمهم من الأسرة الأغلبية، و شهدت طرابلس في عهد الأغلبة مشاركة فاعلة في السلم والحرب، وذلك من خلال الدور الذي لعبته طرابلس كمدينة، وأهلها وخاصة النواحي الداخلية في عملية فتح صقلية، فقد ذكر صاحب رياض النفوس أن أحد زعماء هوارة قد انضم إلى المحاربين المتجهين إلى صقلية مؤكداً بذلك مشاركة مدينة طرابلس وأهلها في هذه العملية الحربية الكبرى.^{٤١}

وبشكل عام يمكن القول إن العهد الأغلبي بطرابلس لم يكن عهداً مستقراً كل الاستقرار، وإن تميزت الأمور فيه بشيء من الهدوء، خاصة في عهد بعض الولاة، ومنهم عبد الله بن محمد بن الأغب، وأبي عباس، ومحمد بن زيادة الله. إلخ وشهدت مدينة طرابلس أيضاً الستار يسدل على نهاية الحكم الأغلبي الذي ارتبطت به منذ تأسيسه، وذلك حين حل بها آخر الأمراء الأغلبة، زيادة الله بن عبد الله هارياً من رقادة، متوجهاً إلى مصر، بعد أن أخذت الجيوش العبيدية "الفاطمية" تزحف عليه من المغرب. وفي مدينة طرابلس التقى بصاحبه بريده عبد الله بن الصائغ الذي تنكر له حين رأى أفول نجمه وإدبار دولته. وكان ابن الصائغ قد ركب البحر يريد المشرق، فاضطرته الرياح إلى النزول بميناء طرابلس. وقد أجرى الغريمان تصفية حسابية انتهت بقتل ابن الصائغ، ورحيل زيادة الله إلى مصر.^{٤٢}

وفي عهد الدولة الأغلبية، التي حكمت المنطقة في ظل الخلافة العباسية طيلة القرن التاسع الميلادي، تم الاهتمام بالعمران إلا أن ذلك اقتصر في الغالب على تونس، التي شهدت تشيد المساجد الجامعة، وإنشاء القصور، والمدن،

^{٤٠} - اتوري روسي: مصدر سابق، ص ٨٠

^{٤١} - خليفة التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ط ٢، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨٥، ص

٤٤

^{٤٢} - - المصدر السابق، ص ٤٦

وفسقيات المياه التي أقامها الأغلبية في القيروان و التي ما زالت تشاهد حتى اليوم.^{٤٣}

إلا أن نصيب طرابلس من هذا العمران كان أقل مما شيد في مناطق أخرى، أن طرابلس عاشت الاستقرار وبعض العمران وفي هذا الصدد يذكر ابن الأثير، إن إبراهيم بن الأغلب بنى القلاع على سواحل البحر، لدرجة تنقل المصادر التاريخية كالكامل في التاريخ ، أن النار توقد في سبته فيصل الخبر إلى الإسكندرية في ليلة واحدة وفي سنة ١٩٦ هـ دخل ابن الأغلب طرابلس و بنى سورها.^{٤٤}

وكان بنو الأغلب ينشؤون أبناءهم على كيفية إدارة البلاد وذلك بان يولوهم دائماً حكم طرابلس. وقد مر على حكم ليبييا عهد جديد يختلف تماماً عن السابق حين خضعت طرابلس بعد عام ٩١٠ م إلى حكم الفاطميين، الذين استطاعوا طرد آخر الأمراء الأغلبية، زيادة الله الثالث من القيروان سنة ٩٠٤ م، ومن رقادة سنة ٩٠٩ م.

و على العموم فإن الباحثة ستركز في هذا المحور على إلقاء الضوء على بعض مظاهر التطور الذي شهدته هذه المدينة، وملامح العهود التي مرت عليها. وفيما يخص مدينة طرابلس في العهد الفاطمي فقد اهتمت الدعوة العبيدية أو الفاطمية أن تؤسس تأسيساً جيداً لأرضيتها في طرابلس فأوكلت بمهام تأسيس وتوضيح عقائدها إلى شخوص هم من أكابر الدعوة أمثال أبي العباس أخي عبد الله الشيعي وأبي جعفر الخزري، إلا أن طرابلس أبدت ضيقها اتجاه عقائد الدولة الفاطمية.^{٤٥}

وقد برزت شخصيات مهمة في طرابلس في عهد الدولة الفاطمية، منهم القاضي النعمان، الذي تولى قضاء طرابلس، وهو صاحب المؤلفات المشهورة في الدعوة الإسماعيلية، وقد كانت له مكانة مرموقة في البلاط الفاطمي. ومن شخصيات طرابلس التي برزت في العهد الفاطمي هو أبو العباس خليل بن اسحاق

^{٤٣} - علي الميلودي عمورة: مصدر سابق، ص ٨٥

^{٤٤} - عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشهير بأبن الأثير : الكامل في التاريخ، الجزء الخامس ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٨ ، ص-ص ١٥٦-١٥٧

^{٤٥} - خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة، ص ٤٦

بن ورد ، ونظراً لاتساع رقعة الدولة الفاطمية التي كانت تسيطر على مساحة جغرافية تمتد من أقصى المغرب إلى مصر، كما مع بروز الصراعات والتنافس والتناحر الطائفي والعربي أحياناً كل ذلك كان سبباً في تفتيت هذه الدولة، ومن ثم انهيارها على يد صلاح الدين الأيوبي، بعدها ظهرت كيانات سياسية ودول أخرى وإمارات، مثل بنو زيري، وبنو خزرون ، و النورمانيون ، والموحدون، والمغامر قرقوش ، و بنو غانية، ثم الحفصيون الذين برز منهم أبو عبد الله المنتصر ١٢٤٩- ١٢٥٠ م الذي بلغ بالحفصيين أقصى درجات القوة، وكانت الإمارة الحفصية الجديدة تمتد من طرابلس حتى تلمسان^{٤٦} ، ثم وقعت طرابلس تحت حكم بني ثابت الذي انتهى باستيلاء الأسبان على طرابلس سنة ١٥١٠م، وصولاً إلى السيطرة العثمانية التي بدأت عام ١٥٥١م واستمرت حتى عام ١٩١١.^{٤٧}

وإذا كانت طرابلس تُعرَفُ في العصور القديمة، بآثارها الفينيقية و اليونانية والرومانية، فإنها في العصور الإسلامية امتازت بمظاهرها الإسلامية، وفي مقدمتها الجوامع و المدارس و الربط والزوايا و الخانقاه .إلخ، كما امتازت بجمالها ونظافتها، كما يصفها كل من زارها خلال هذه القرون فكانوا يشيرون إلى جوامعها. ومن الرحالة الأوائل والمؤرخين الذين أشاروا إلى أهمية طرابلس وغناها وبروزها كأحدى الحواضر المهمة في الشمال الإفريقي، و ذلك في القرن الرابع الهجري الرحالة والجغرافي ابن حوقل النصيبي و الذي وصفها وصفاً دقيقاً جغرافياً واجتماعياً واقتصادياً فيقول: إنها مدينة بيضاء تزدهر بالصخر الأبيض في مبانيها ، وهي مدينة ساحلية منيعة، كبيرة ذات بساتين. و حافلة بالأسواق، وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره. ويتوسع ابن حوقل في وصف حركتها التجارية وناسها فيقول في نفس الصفحة: وترسو فيها السفن والمراكب ليلاً ونهاراً، وأهلها قوم مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض

٤٦ - تلمسان: مدينة بالمغرب تتألف من مدينة قديمة اسمها أقادير و أخرى حديثة اسمها تافررز و يزعم بعضهم انه البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام . معجم البلدان ٤/٢ ، وحاليا تقع في الجمهورية الجزائرية، على بعد نحو ٦٠ كيلو متر، من حدود المملكة المغربية ،وكانت عاصمة الدولة الزيانية، التي أسسها يغرومسان بن زيان.
٤٧ - اتوري روسي: مصدر سابق، ص ١١٣

والثياب والأموال، متميزين بالعشرة الحسنة.^{٤٨} وياقوت الحموي ١١٧٨-١٢٢٨م، الذي يصفها بأنها ذات سور صخري قوي البنيان متين، وبأنها على شاطئ البحر، وجامعها حسن البناء ، ولها أسواق حافلة جامعة، وفيها ربط كثيرة يأوي إليها الصالحون، وهي كثيرة الثمار والخيرات والبساتين، خاصة في الشرق.^{٤٩} وفي القرن السادس الهجري يصفها رحالة مغربي آخر وصفه ناشر كتابه بأنه (المؤلف المجهول) وهو كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي فيصفها بأنها أول مدن أفريقيا ، وهي مدينة كبيرة قديمة وساحلية ، فالبحر يضرب أسوارها المنيعة الحجرية ، ولها سوق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين في شرقها وهي كثيرة الفواكه و الخيرات وأكثر أهلها تجار يسافرون براً وبحراً.^{٥٠} ويصفها كتاب بدائع الزهور لابن اياس في القرن العاشر الهجري ، بأنها من أروع مدن الغرب ويقصد غرب العالم الإسلامي .^{٥١}

أما المؤرخ التونسي أبو محمد عبد الله التيجاني الذي زار طرابلس ما بين عام ١٣٠٦-١٣٠٨ م^{٥٢} فيقول: إن بياضها مع شعاع الشمس يكاد يغشي الأبصار، وإن آثار الضخامة واضحة عليها ،ولكن الخراب تمكن منها خاصة على يد الأسبان ،أما شوارعها فنظيفة وواسعة ومستقيمة وممتدة على كل المدينة تقريباً.^{٥٣}

ويرى بعض المؤرخين أن ليبيا بلغت أوج عظمتها في العهود الإسلامية خلال حكم الأغالبة، بينما يرى آخرون أن عهد الحفصيين هو الأهم بالنسبة إلى طرابلس، وينقل المؤرخ نقولا زيادة بأن الفترة الواقعة بين منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي وأواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي من أهم الفترات في تاريخ ليبيا الحديث فقد كانت هذه العقود مفعمة

^{٤٨} - ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٧٢

^{٤٩} - ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٥

^{٥٠} - المؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، ١٩٨٦، ص ١١٠

^{٥١} - محمد بن أحمد بن اياس الحنفي: بدائع الزهور، الجزء الرابع، ص ١٩٥ نقلًا عن د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم، ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٦٨، ص ١٩٧

^{٥٢} - زار التيجاني في معية أبي يحيى زكريا اللحياني زعيم الأسرة الحفصية ومكث فيها نحو السنة والنصف فيصفها وصفًا مسهباً ودقيقاً

^{٥٣} - أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد التيجاني : رحلة التيجاني رحلات ضمن أفريقيا قام بها في البلاد التونسية و المغربية (٧٠٦-٧٠٨ هـ)، دار الفرجاني ، طرابلس - الجماهيرية الليبية ، ب ت ، ص ص ٢٣٧-٢٣٩ .

بالنشاط والحيوية.^{٥٤} وفي هذه الفترة كانت طرابلس وما إليها جزءاً من الدولة الحفصية . حيث شهد هذا العهد بناء العديد من المدارس ومنها المدرسة المنتصرية، وهي أحسن مدارس البلد كما أن هناك العديد من المدارس غيرها.^{٥٥} وإن ما جاء في وصف المؤرخين والرحالة لطرابلس خلال العهود الإسلامية. وهم كثيرون ومن أهمهم أبو جعفر أحمد بن يحيى البلاذري القرن ٣ هـ / ٩ م و أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ق ٤ هـ / ١٠ م و أبو القاسم بن حوقل النصيبي ق ٤ هـ / ١٠ م والإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ق ٦ هـ / ١٢ م و أبو الحسن علي بن محمد الشهير بابن الأثير ق ٧ هـ / ١٣ م و أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المغربي ق ٧ هـ / ١٣ م وابن بطوطة ق ٧ هـ / ١٣ م و ابو محمد عبد الله التيجاني ق ٨ هـ / ١٤ م و أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المغربي ق ٩ هـ / ١٥ م والعايشي المغربي ق ١١ هـ / ١٧ م ومحمد بن خليل بن غلبون ق ١٢ هـ / ١٨ م ، والجراح الأسير البرفنسالي و المس تولي ق ١٢ هـ / ١٨ م ، كلها تشير إلى ثلاثة أشياء تكاد تكون ملازمة لتاريخ المدينة، وهي النظافة، والحروب، والأطماع الأجنبية. ويشير ابن غلبون بأن طرابلس لطالما اعتبرت أقوى مركز يتخذ لمواجهة الخطر العثماني في البحر المتوسط ؛ لأنها من أكبر مدن شمال أفريقيا ،ومن أقوى نقاط الدفاع ،وقد امتازت طرابلس في السنين الأربعين التي تقدمت احتلال الأسبان بنصيب وافر من الثروة ورفاهية العيش، فكان مركزها الجغرافي ومطامع الدول الاستعمارية في ثروتها، يدفع الطامعين إلى الاستيلاء على البلاد الإسلامية وإلى التعجيل باحتلالها، كما وهناك فائدة أخرى، وهي عدم الانتفاع بها في إنشاء الجيوش والأساطيل وتقوية القلاع التي قد تحول بينهم وبين احتلالها، وحينئذ يصبح مركز مالطة، بل وكل الشمال الأفريقي في خطر من وجهة نظرهم.^{٥٦}

ومن ذلك نستنتج أن ليبيا كانت مركزاً دائماً للحروب والمطامع بسبب موقعها الاستراتيجي كبوابة شمالية للقارة الأفريقية هذا من جهة، ومن جهة أخرى

^{٥٤} - نقولا زيادة: المصدر سابق، ص ٢٤٩.

^{٥٥} - علي ميلودي عمورة: مصدر سابق، ص ٨٨.

^{٥٦} - محمد بن خليل بن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار (الأخبار)، ط ٢، مكتبة النور، طرابلس - ليبيا، ١٩٦٧، ص ١٠٣.

كون طرابلس عاصمتها وكمدينة ساحلية بحرية كبيرة لها أهميتها في ساحل البحر المتوسط من جهة أخرى، أضف إلى ذلك كونها دولة عربية تتوسط دول المغرب العربي. وبالطبع لا نغفل عن طبيعتها المناخية المعتدلة، والتي تزيد من مميزات هذا البلد، وفي هذا الصدد نجد أحد مؤرخيها، وهو أحمد النائب الأنصاري، يصفها بأنها بلدة مباركة، تربتها جيدة وخصبة، معتدلة الهواء والجو والنسيم، ربيعها وخريفها ومشتاها ومصيفها على قدر من الاعتدال، تزدهر بالبساتين وكثيرة الفواكه، والنخل. ولم تخل من أشرف وعلماء أكابر.^{٥٧}

وقد تحولت مدينة طرابلس، بعد الفتح الإسلامي من مدينة صغيرة تحيط بقلعتها، إلى مدينة كبيرة أدهشت أحد غزاتها المغامرين وهو الكونت بدرو دي نافارو، الذي وصفها قبل عقود من احتلالها من قبل العثمانيين : بأن حجمها كبير، ورغم ما كتب عنها يجد ذلك مقصراً في حقها، فهي مدينة قوية ونظيفة.^{٥٨} وقد خربها الغزاة الأسبان والمالطيون وعاثوا بها فساداً، لذلك كان على العثمانيين أن يعمروا المدينة المنكوبة، ولكنهم لم يفعلوا ذلك إلا بالنزر اليسير لأن الصراعات بين قادتهم العسكريين وباشاواتهم ألفت بكاهلها على طرابلس، أما بالنسبة للأتراك فقد كان هناك منذ البداية حاجز عرقي وحضاري بين القوميتين - واقصد العربية والتركية - ولم تتمكن وحدة الدين الإسلامي في التغلب على هذا الحاجز حتى إن أحد المؤرخين الليبيين المعاصرين يبالغ في القول بأن حكم العثمانيين لليبيين، بما فيه فترة الحكم القرمانلي، استمر ٣٦٠ سنة، وعندما رحل الأتراك عام ١٩١١ رحل معهم كل شيء.^{٥٩}

إن مدينة طرابلس العريقة تعتبر النموذج الحي للمدينة العربية الإسلامية في التصميم البنائي، من حيث الأهمية الوظيفية، والشكل المعماري الذي يتمثل بشكل كبير في الجوامع و المساجد والمدارس و الزوايا و المآذن و المقابر و الأضرحة والخانكة و السراي والفنادق و الأسواق المسقوفة والحمامات^{٦٠}، لقد أثر المسلمون

^{٥٧} - أحمد النائب الأنصاري: مصدر سابق، ص ٥٥-٥٦

^{٥٨} - كوستانزيو برنينا: طرابلس من ١٥٥١-١٨٥٠، ترجمة: خليفة التليسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٥،

ص ٢٢

^{٥٩} - تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨، ص ٢٥

^{٦٠} - عياد هاشم: "فنون مدينة طرابلس المعمارية منذ القرن السادس عشر وحتى بداية القرن العشرين"، مجلة آثار العرب،

العددان ١١، ١٢، ربيع ١٩٩٩، طرابلس، ص ٦١

العرب، بشكل عام وتأثروا بالأمم والشعوب التي دخلت تحت راية الإسلام ، فمن المعروف أن المسلمين العرب، نتيجة لاحتكاكهم مع شعوب الدول أو الأقطار التي فتحها الإسلام ، قد اقتبسوا نماذج تعبيرية مختلفة فارسية وبيزنطية وآسيوية وأفريقية إضافة إلى المؤثرات الأخرى وهذه التعبيرات دخلت في صميم التعبير الأدبي والفلسفي والفني والمعماري^{٦١} ولاشك أن الشعب الليبي لم يكن بمنأى عن هذا التفاعل .

^{٦١} - فضل زيادة: " من خصائص الإرث الفني العربي الإسلامي "، مجلة الفكر العربي ، كانون الثاني / أي النار ١٩٩٢ ، ص ٣٩